من وصايا القرآن الكريم

وَصِيَّة لُقْمَان
لِابنِهِ

تأليف
علي محمد جمّاز

طبع على نفقة الشئون الدينية

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف: ٢٢٩٫٦ / ج ع
الرقم العام: ١٢٣٤٣
الرقم الآلي: ٧٣٨٠
جهة الورود:

من وصايا القرآن الكريم

وصية لقمان لابنه

تأليف
علي محمد جماز

« طبع على نفقة الشئون الدينية »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وأهّله لنيل العلم والعرفان . والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد :

فرغبة منا في نشر العلم بين الراغبين ، أعلنّا في ندوة القرآن الكريم ، عن استعدادنا لطبع النصائح اللائقة ، والتوجيهات الصالحة النافعة ، وتوزيعها على أهل العلم وطلابه ، تعميماً للفائدة .

فكانت هذه الرسالة ، (وصايا لقمان لابنه) ، تأليف الأخ الفاضل الشيخ علي جماز في مقدمة ما يستحق العناية والطبع .

ومن الجدير بالذكر أن وصايا لقمان ، لها مكانتها المؤثرة ، سيما في أذهان الشبان والأبناء . إذ هي وصية أب لابنه .

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب من ألفه وكتبه وقرأه ، وأن يوفقنا لصالح الأعمال .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

عبد الله ابرهيم الأنصاري

مدير إدارة الشئون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه . « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب» . « ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » .

أيها القراء الكرام ، أحييكم بتحية الإسلام ، وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، اللهم اجمع قلوبنا على طاعتك ، واشرح صدورنا بفيض الإيمان بك ، وجميل التوكل عليك ، وأحيها بمعرفتك ، وأمتها على الشهادة في سبيلك ، إنك على ما تشاء قدير .

أيها الاخوة :

خير ما يجتمع عليه المؤمنون ذكر الله ـ عز وجل ـ وأفضل الذكر تلاوة كتاب الله ، وتدارس أحكامه ، والتدبر في آياته . وبذلك ننضوي تحت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما اجتمع

قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(١) .

فأبشروا أيها الأخوة ، فأنتم في ضيافة الله ـ عز وجل ـ وفي كنفه ، مادمتم تتلون كتاب الله ، وتستظلون بظلاله الوارفة .

(١) رواه مسلم .

الايمـــان بالله

من الوصايا النافعة التي لا تبلى جدتها على الأيام تلك الوصايا القرآنية التي خلدها الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم على لسان لقمان الحكيم لولده ، لتكون مرشداً لكل أب يقوم على تربية أبنائه ، ولكل مرب يقوم على تربية جيل الغد المرتقب ، وتنشئة ناشئة المستقبل ، ولتكون دليلا هادياً لكل داعية يدعو إلى الله على بصيرة .

يقول الله ـ عز وجل ـ « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد . وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » .

وقبل أن نتحدث عن أولى الوصايا نقف وقفة

قصيرة مع لقمان الحكيم . وأصح الأقوال فيه : أنه رجل صالح ، آتاه الله الحكمة ، وحسن التعبير . وهذا هو معنى الحكمة : إصابة الهدف بالقول السديد ووضع الأمور في مواضعها السليمة الصحيحة .

وهكذا كان لقمان . منحه الله الحكمة ، فمنحه بذلك الخير الكثير ، والعلم الوفير ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وصدق الله العظيم : « يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الألباب »(١) .

ومما روى من حكمته :

أن مولاه أمره يوماً أن يذبح شاة ، وأن يخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب . ثم مكث ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمره أن يذبح

---

(١) البقرة : الآية ٢٦٩ .

شاة أخرى ، ويخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، فقال مولاه : طلبت منك أن تخـــرج أطيب مضغتين ، فأخرجت اللسان والقلب ، وطلبت منك أن تخرج أخبث مضغتين فأخرجت اللسان والقلب . فما ذاك ؟ .

فقال لقمان : « إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا » .

ومن وصاياه لولده :

« يابنى ، إن الدنيا بحر عميق غرق فيه ناس كثيرون ، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله ، واجعل شراعها التوكل على الله ، واجعل زادك فيها تقوى الله ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك » .

وهكذا أجرى الله الحكمة على لسان لقمان ، وهى نعمة كبرى ، ومنة عظمى ، تستوجب الشكر لواهبها ، فالحكمة أن يشكر الإنسان ربه على

ما وهبه من نعم لا تعد ولا تحصى ، وبذلك يكون قد وضع الأمر في موضعه ، ونسب الفضل لصاحبه . قال ـ عز وجل ـ « ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة »(١)

إن نعم الله تغمر الانسان من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . فالحياة نعمة من الله وفضل ، والعقل نعمة من الله وفضل ، والسمع والبصر نعمة من الله وفضل ، بل كل نفس يتنفسه الإنسان ، وكل خاطر يهجس في نفسه ، أو منظر تلتقطه عينه هو نعمة من الله وفضل . وأعظم هذه النعم التى من الله بها على الإنسان نعمة الإيمان والإسلام « بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين»(٢).

ما أجدر الإنسان الذى منح هذه النعم كلها أن

(١) لقمان : الآية ٢١ .

(٢) الحجرات : الآية ١٧ .

يقدم الشكر لواهبها ، ويعترف بالجميل لأهله ، فذلك هو عين الحكمة والصواب ، وهو فعل الإنسان السوي الحكيم ، لاذلك الجاحد الكنود الذى كفر بأنعم الله ، ونسي ربه وخالقه ورازقه ، فلم ينسب الفضل لواهبه ، ولم يرد الأمر إلى ربه بل طغى وتجبر . وقال : «إنما أوتيته على علم عندى» . فخسف الله به الأرض بعد أن استعلى فيها وتجبر ، وطغى وبغى ، ليكون مثلا وعبرة للاولين والآخرين.

ذلكم هو قارون الذى قال الله فيه : «فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين» (١) .

على أن الله ـ سبحانه ـ جعل شكره وسيلة إلى رضاه عن عبده ، فمن شكر فإنما يشكر لنفسه . أى أن ثواب هذا الشكر وجزاءه عائد إلى الإنسان ،

---

(١) القصص : الآية ٨١ .

وراجع إليه كما قال - عز وجل - «ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون»(١)

أما الذى يجحد نعمة الله فلا يلومن إلا نفسه ، فإن عاقبة هذا الجحود والنكران سترتد إليه ، ولاينفعه ماله ولاسلطانه . «يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم »(٢)

والله - عز وجل - غني عن عباده ليس في حاجة إلى عبادتهم ، ولا إلى شكرهم « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين» . أما العباد فهم المحتاجون دائماً إلى ربهم « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد »(٣)

إن الذي يزرع في دنياه عملا صالحاً لابد أن يجنى في الآخرة ثماراً صالحة . تلك هى سنة الله

---

(١) الروم : الآية ٤٤ .

(٢) الشعراء : الآية ٨٨ .

(٣) فاطر : الآية ١٦ .

من يزرع خيراً يحصد خيراً ، ومن يزرع الشوك لايحصد إلا الشوك والندم ، ولا يزيد الأولون في ملك الله شيئاً كما لا ينقص الآخرون من ملك الله شيئاً ، وقد قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي : « يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكى شيئاً » .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً .

يا عبادي ، إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »(١) .

إن عبادة الله وحده ، والإيمان به ـ هو أساس الحياة ، وسر الوجود ، كما قال الله ـ عز وجل ـ

(١) رواه مسلم .

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»(١).

فالإيمان بالله هو الذى يجعل الإنسان إنساناً حقاً. يسعى لهدف. ويعيش لغاية. ويفهم سر وجوده. ويدرك قيمة حياته. وبدون ذلك تصبح حياة الإنسان تافهة فارغة. لاقيمة لها، فما المرء إلا عقيدته. فإذا عاش بغير عقيدة فهو إنسان هامد. وتراب خامد. وذرة تائهة في هذا الكون مقطوعة الأواصر بأسباب القوة.

من أجل ذلك كانت الوصية الأولى من لقمان لابنه: أن يعبد الله وحده. لايشرك به شيئاً. فهو الركن الركين. والحصن الحصين. والملاذ الأمين. من اعتصم به هداه. ومن استعان به أعانه. ومن لجأ إليه حفظه وحماه من كل سوء. وجعل له من كل هم فرجا. ومن كل ضيق مخرجا.

---

(١) الذاريات: الآية ٥٦.

ولله در الامام ابن القيم وهو يقـول في مناجاة ربه :

يامن ألوذ به فيما أؤملـه
ومن أعوذ به مما أحـاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره
ولا يهيضون عظماً أنت جابره

قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم » وأى شرك أعظم من تسوية الخالق بالمخلوق ، والرازق بالمرزوق . من تسوية الإنسان بربه وخالقه ، وصدق الله العظيم : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون »(١) .

إن الإنسان السوي هو الذى يعرف الهدف من حياته ، فيعمل له ، ويسعى إليه ، وأي هدف أسمى من الإيمان بالله ، والسعي إلى مرضاته ،

(١) الأحقاف : الآية ٥ .

وعبادته حق العبادة . بذلك تزكو الحياة ، وتطهر الأنفس ، وتعمر الأرض بأهل التوحيد والبر والخير والإنصاف والعدل والإحسان ، فإن قيمة الحياة تنبع من قيمة المهمة التي يؤديها الإنسان فيها ، ومن عظمة الرسالة التي يحملها ، أما لو تنكر لرسالته ، وتنكب الطريق السوي ، وعاش منغمساً في نعيم الدنيا الزائل ، وشهواتها الفانية فقد سلك نفسه مع شر الدواب ، كما قال الله – عز وجل – « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »(١) . وصار بذلك المسلك الشائن أضل من الأنعام سبيلا . «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون»(٢).

(١) الأنفال : الآية ٢٢ .

(٢) الأعراف : الآية ١٧٩ .

أجل ، إنه حينئذ أضل من الأنعام سبيلا ، لأن الله استرعاه الأمانة فخانها ، وأخذ عليه العهد والميثاق أن يعبده ، ولا يشرك به شيئاً فخان العهد ، ونقض الميثاق ، ومنحه مالم يمنح الأنعام من نعمة العقل والقلب والفكر ، فأهمل ذلك كله ، فصار أضل من الأنعام سبيلا .

لقد تعاقب أولئك الرهط الكرام من رسل الله منذ فجر الخليقة إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – يدعون الناس إلى الله ، وإلى الإيمان به . كل همهم أن يردوا هذه القافلة الشاردة إلى سواء السبيل ، وأن يوجهوها نحو الخالق العظيم ، وكلما ضلت البشرية عن طريقها ، وتنكرت لرسالتها ، أرسل الله لها الرسل يمدون إليها يد الإنقاذ ، ويربطونها بقوة الأزل والأبد . وتلك هى مهمة الرسل «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى

إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(١) . « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »(٢)

وإن أعظم ما تفسد به الحياة ، ويضل به الناس أن يدعوا لأنفسهم آلهة غير الله ، وأن يشركوا بالله شيئاً ، فإن ذلك هو الظلم العظيم الذي حذر لقمان ولده منه حين قال له : « يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم » لأن فيه تسوية الخالق بالمخلوق ، والرازق بالمرزوق . تسوية الإنسان بخالق الإنسان ، وذلك هو الضلال المبين . « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون»(٣) .

وقد سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – « أى الذنب أعظم عند الله ؟ .

---

(١) الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٢) النحل : الآية ٣٦ .

(٣) الأحقاف : الآية ٥

قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك »(١)

إن أعظم جريمة يرتكبها الإنسان على ظهر هذه الأرض هى الشرك بالله ، وجحود الخالق العظيم الذى خلقه فسواه فعدله ، وهى جريمة لا يغفرها الله لصاحبها ، كما قال – عز وجل – « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً »(٢): « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً »(٣) .

لهذا حرص لقمان الحكيم على أن يوصي ولده بعبادة الله ، وأن يحذره من الإشراك به ، كى يحصن عقيدته من الانحراف والإلحاد ، ويقيم حياته على أساس قوي متين .

وليس هناك أصدق نصحاً ، ولا أحنى قلباً

---

(١) متفق عليه .

(٢) النساء : الآية ٤٨ .

(٣) النساء : الآية ١١٦ .

من الوالد بولده ، فهو غراسه في حياته ، وذكره من بعده ، يرجو له الخير والفلاح .

فلنذكر ذلك جيداً ، ولنذكر أن أبناءنا أمانة في أعناقنا ، سوف يسألنا الله يوم القيامة عنهم ، فعلينا أن نحصنهم أولا في عقائدهم حتى لا يتسرب إليها وهن أو ضعف أو تفكك أو انحلال ، فنحن نواجه في هذا العصر موجات عاتية من الكفر والإلحاد ، والجرأة على الله وعلى رسله والأديان عامـــة .

وممن نواجه ذلك الكفر والإلحاد ؟ .

إننا نواجهه للأسف من أبناء هذه الأمة الذين يتسمون بأسماء المسلمين ، ويتكلمون لغة القرآن ، فقد أرادت القوى المعادية للإسلام أن تصنع منهم دعاة إلى الكفر والإلحاد لهذه الأمة التي لم تعرف غير الإسلام ديناً ، وغير محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبياً ورسولا ، وغير القرآن هادياً ودليلا .

ألا فلنعلم جيداً أن هذه الأمة ليس لها غير الإسلام والإيمان ، فهى به كل شيء ، وبغيره لا شيء ، وأن طريقها واحد لا ثانى : له ، هو ما وصاها به الله ـ عز وجل ـ في كتابه فقال تعالى : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »(١) .

(١) الأنعام : الآية ١٥٣ .

بـــر الوالدين

في ثنايا وصية لقمان وصى الله بالوالدين : ببرهما والعطف عليهما ، والاحسان إليهما . وصى الابن بذلك ، لأنهما سبب وجوده ، ولأنهما بذلا له مالم يبذل إنسان لإنسان . فقال تعالى : «ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهناً على وهن ، وفصاله في عامين ، أن اشكر لي ولوالديك ، إلي المصير » .

وقد جاءت الوصية بالوالدين بعد الأمر بعبادة الله والنهى عن الإشراك به تأكيداً لحق الوالدين ، وبيان أنه بعد حق الله ، وثمرة من ثمرات الإيمان الصادق ، والعبادة الصحيحة .

وذلك شأن القرآن حين يوصي بالوالدين . يقرن الوصية بهما بالأمر بطاعة الله وعبادته ، ويجعل البر بهما في المنزلة التالية للإيمان بالله .

قال تعالى في سورة الإسراء : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريماً» .

وقال تعالى في سورة النساء : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً» .

وقد أكد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا البر ، وحث عليه ، واعتبر بر الوالدين والإحسان إليهما ضرباً من الجهاد .

جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله تعالى . فقال : فهل من والديك

أحد حي؟ . قال : نعم ، بل كلاهما . قال : فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟ قال : نعم . قال : فأرجع إلى والديك فأحسن صحبتهما »(١) .

«وفي رواية أن رجلا جاء فاستأذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الجهاد ، فقال : أحي والداك ؟.. قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد »(٢) .

وهكذا جعل الإسلام للوالدين هذه المنزلة العالية ، وهذا المقام الكريم ، فلا يجوز للابن أن يتطوع للجهاد – وهو أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة إلا بإذن والديه .

ولا شك أن بر الوالدين من أفضل القربات إلى الله – عز وجل – وأجل الأعمال وأحبها إليه – سبحانه – فقد روى ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : «سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله»(١) .

وقد أكد الإسلام الوصية بالأم خاصة ، رعاية لضعفها ، وتقديراً لما تكبدت من مشاق الحمل والإرضاع والتربية ونحوها ، ولأنها مظنة أن يطمع الابن في جانبها أكثر من أبيه . وربما تجرأ الولد عليها حيث لا يستطيع أن يتجرأ على أبيه ، وهى تتحمل ذلك ، راضية صابرة حانية، فكانت الوصية بها آكد .

«جاء رجل إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : يارسول الله، أي الناس أحق بحسن صحابتى ؟. قال : أمك . قال : ثم من ؟ . قال : أمك . قال : ثم من ؟ . قال أمك . قال : ثم من ؟. قال: أبوك »(٢) .

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

وعن معاوية بن جاهمة ، أن جاهمة جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله ، أردت أن أغزو ، وقد جئت استشيرك . فقال : هل لك من أم ؟ قال : نعم . قال : فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها »(١) .

أي إن رعايتك لها ، وقيامك بخدمتها وبرها ، هو الطريق إلى الجنة ، والسبيل إلى مرضاة الله – عز وجل –

وفي الحديث : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

إن الإنسان مهما بذل لوالديه من البر والإحسان ، والرعاية والعطف ، فلا يستطيع أن يفى لهما بحقهما . فقد كان هو أملهما الوحيد الذى يسعيان في الحياة من أجله ، ويعملان ليوفرا له العيش الرغيد ، والحياة الهانئة ، فاذا مرض أو تألم

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائى واللفظ له ، والحاكم قال : صحيح الإسناد .

سهرا بجواره ، وحزنا له ، كأنهما اللذان أصيبا بالمرض ، فاذا عوفي ملأ حياتهما بالفرح والسرور ، وعادت إليهما الصحة والسعادة .

وليس هناك إنسان في الوجود يتمنى أن يكون أحد أرفع منه شأناً ، وأعلى منه قدراً ، وأجل منه ذكراً إلا ما يتمناه الوالدان لولدهما .

لأجل ذلك ، فإن الابن مهما فعل لأبويه من البر والرحمة والإحسان فهو قليل لا يفى بحقهما .

وقد روي أن رجلا مر في الطواف حاملا أمه العجوز على ظهره يطوف بها ، فسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – هل أديت حقها ؟ فقال – صلى الله عليه وسلم – : لا . ولا بزفرة واحدة (١) .

ولاشك أن أفضل أنواع البر حين يكون

---

(١) رواه البزار في مسنده .

الوالدان قد طعنا في السن ، وأصبحا في حاجة ماسة إلى ولدهما يقوم بشأنهما ، فهو حينئذ يؤدى لهما شيئاً من الضريبة الواجبة ، كفاء ما قاما بتربيته وهو صغير .

« . . . وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

« فمن أراد الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، فليبر والديه ، وخاصة عند الكبر . فان من كان له والدان ، وأتيحت له فرصة البر بهما ، فضيع هذه الفرصة ، فقد فاته الخير كله .

فعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : رغم أنف . ثم رغم أنف . ثم رغم انف

من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة »(١) .

ومن علامات البر ألا يمنع الابن أبويه شيئاً مما منحه الله من الرزق ، وما أفاض عليه من النعم ، والا يقبض يديه عنهما ، وليذكر أنهما كانا سبب وجوده ومصدر هذا النعيم الذى يتقلب فيه ، فلا يكن هو سبب تكديرهما ، وحرمانهما خاصة عند الكبر .

فقد روي أن رجلا شكا أباه لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — زاعماً أنه يأخذ ماله ، فبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى أبيه ، فاذا به يتوكأ على عصا . فقال : يا رسول الله ، إنه كان ضعيفاً وأنا قوي ، وفقيراً وأنا غني ، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي .

---

(١) رواه مسلم .

واليوم أنا ضعيف وهو قوي ، فقير وهو غني ، ويبخل على بماله ؟ . . فبكى النبي – صلى الله عليه وسلم–وقال للولد : « أنت ومالك لأبيك »(١).

ولله در الشاعر الذى يعتب على ولده لعدم إحسانه إليه فيقول :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً
تعل بما أدنى إليك وتنهـــل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت
لشكواك إلا ساهراً أتململـــل
كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دونى وعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها
لتعلم أن الموت حتم مؤجل

---

(١) ابن ماجه والطبرانى والطماوي .

فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى منك جفوا وغلظة
كأنك أنت المنعم المتفضـــل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار المجاور يفعل

وليس بر الإنسان بأبويه قاصراً على حياتهما فقط ، بل إنه ليمتد إلى ما بعد الحياة ، تأكيداً للوفاء الذي أمر الله به ، فقد سأل رجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما . قال : « نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما »(١) .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

هذا هو حق الوالدين على ولدهما . فما حق الولد على والديه ؟ .

إن حق الولد على أبيه أن يحسن تربيته وتأديبه وتعليمه ، وأن يأخذه بتعاليم الإسلام وآدابه ، وأن يحميه من مفاسد الحياة ومنكراتها ، وأن يحنو عليه ، ويعطف عليه ، وأن يكون به رحيماً ، وأن يعامله معاملة كريمة تشعره بثقته بنفسه ، وأن يهيئه ليكون إنساناً نافعاً عاملا لخير أمته ودينه ووطنه .

يقول الله – تعالى – : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة » .

وقد رأى الأقرع بن حابس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقبل ولده الحسن ، فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً

منهم . فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – «من لا يرحم لا يرحم» (١) .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «علموا أولادكم الصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »(٢) .

وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل .

ومن حق الولد على أبيه أن يسوي بينه وبين إخوته في العطاء وفي الحنان ، ولا يشعر أحد من الاخوة أن أخاه أقرب منه إلى قلب أبيه ، كما سئلت أعرابية : أى بنيك أحب إليك؟ . فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

ولا شك أن التسوية بين الأبناء وحسن تربيتهم

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه ابو داود باسناد حسن .

مما يعينهم على الوفاء بحق آبائهم عليهم ، ومما يقوى الروابط بينهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينزع من قلوبهم الحقد والحسد والكراهية .

وفي الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : «ساووا بين أولادكم في العطية» (١) .

وعن النعمان بن بشير : أن أباه أتى به إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : إني نحلت ابني هـذا غلاماً . فقال : أكل ولدك نحلته مثله ؟ . قال : لا . قال : فأرجعه .

وفي رواية أنه قال : أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ . قال : بلى . قال : فلا إذن .

وفي رواية أنه قال : لا . فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » .

فرجع فرد عطيته .

---

(١) رواه الطبراني والخطيب البغدادي وابن عساكر .

وفي رواية أنه قال : « لا أشهد على جور»(١) .

وهذا واضح في أن التفرقة بين أولاده ظلم وجور ، فضلا عن أن ذلك يزرع في قلوبهم الأحقاد والأضغان ، ويورثهم الشحناء والبغضاء .

وكم من إخوة تمزقت أخوتهم ، وتفتتت وحدتهم ، وعادى بعضهم بعضاً ، وربما قتل بعضهم بعضاً بسبب هذا التفضيل .

فليتق الله الأباء في أبنائهم ، وليربطوا بين قلوبهم برباط المحبة والأخوة ، وليقووا وحدتهم بالعدل بينهم ، وأن يكونوا مع أبنائهم كهذا الأعرابى الذي وصى بنيه بالوحدة والترابط والتماسك ، حتى يكونوا قوة لا ينفذ إليها ضعف ووحدة لا يمزقها خلاف ولا فرقة ، قال لهم :

كونوا جميعاً يابني إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا آحـــادا

---

(١) متفق عليه .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحـــادا

أما إذا كان هناك سبب يدعو إلى تفضيل أحد الأبناء وتخصيصه بشيء من المال ، لعجز أصابه دون إخوته فلا يقدر على مجابهة الحياة مثلهم ، أو لصغر سنه ، بمعنى أن إخوته قد تحققت لهم فرص من التعليم أو الزواج أو الثروة أونحو ذلك لم تتحقق له فحينئذ ، ينبغى أن يجمع أبناءه ويشاورهم في أمر أخيهم هذا ، ويبسط قضيته ، ولا يخصه بشيء إلا برضاء إخوته وطيب أنفسهم ، إبقاء على الحب والمودة بين الأبناء .

عقـــوق الوالدين

وإذا كان بر الوالدين من أفضل الأعمال وأجل القربات ، فلا عجب أن يكون عقوق الوالدين وعصيانهما وجحـــود فضلهما من أكبر الكبائر ، وأقبح المنكرات .

ولهذا كان عقوق الوالدين يأتى في المرتبة التالية للإشراك بالله .

ففى الحديث الصحيح عن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً . قلنا : بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وجلس ، وكان متكئا فقال «ألا وقول

الزور الاوشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت»[1] .

وفي البخارى من حديث عبد الله بن عمرو : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »[2] . أى اليمين الكاذبة الفاجرة التى تغمس صاحبها في الإثم .

وفي الحديث : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين . فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات »[3] .

ومن العقـــوق أن يكون الولد سبباً ـ ولو غير مباشر ـ في إيذاء أبويه أو أحدهما .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الحاكم والأصبهانى وقال الحاكم : صحيح الأسناد .

فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يارسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟، قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه»(١).

لقد أقام الإسلام العلاقة بين الآباء والأبناء على أساس من البر والصلة والرعاية التامة، وأوجب على الابن أن يبر والديه، وأكد على هذه الرابطة محذراً الأبناء من التفريط فيها، أوالانتقاص منها.

ولكن هذه الرابطة المتينة تأتى في الدرجة التالية لرابطة العقيدة، ولرابطة الإيمان. فاذا تعارضت طاعة الوالدين مع حق الله، كان حق الله مقدماً على بر الوالدين،.

أجل، إن صاحب الحق الأول في السمع والطاعة والخضوع هو الله – عز وجل – من أجل

---

(١) متفق عليه.

ذلك قال الله – سبحانه – « ..... وإن جاهداك ... » . أي إن بذل الوالدان أو أحدهما جهده في صرف ابنهما عن الإيمان بالله وطاعته ، وطلبا منه أن يشرك بالله مالا علم له به ، فلا يطعهما : بل يجب أن يخالفهما ، ومع ذلك يبقى على بره بهما ، ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف .

روى أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبى وقاص – رضي الله عنه – حين أسلم ، وعلمت أمه بإسلامه ، وأرادت أن ترده عنه ، وأن تعيده إلى عبادة الأصنام ، فحلفت ألا تتناول طعاماً ولا شراباً ، وألا يمس رأسها طيب حتى يعود سعد ، ويرجع عن دينه .

وكان سعد باراً بأمه ، عطوفاً عليها ، وأرادت الأم أن تستغل في ابنها هذه العاطفة الجياشة ،

فلعله حين يراها على هذه الحالة يرق لها ، ويسمع ويطيع ، ويعود إلى دين آبائه وأجداده .

ومكثت أمه يوماً وليلة حتى جهدت ، ثم ليلة وليلة حتى اشتد جهدها . كل ذلك وسعد يرجوها أن تعود إلى حياتها الطبيعية ، حتى قال لها تلك الكلمة الفاصلة : والله لو كان لك مائة نفس ، وخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء أبداً فكلي أو لا تأكلي(١) .

ومع ذلك فقد أمر الله بمصاحبتهما بالمعروف ، وألا يقطع الابن صلته بوالديه ، حتى ولو كانا مشركين. « فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » .

وفي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : « قدمت على أمي ، وهي مشركة ، في عهد رسول الله

(١) القصة رواها ابن كثير في تفسيره وهي في صحيح مسلم .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستفتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت : قدمت علي أمي ، وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ . قال : نعم ، صلي أمك»(١)

أجل ، إن بر الوالدين من الإيمان ، وقد أمر به الله ـ عز وجل ـ وأمر به رسوله ، سواء كان ذلك في الحياة أو بعد الممات .

وحرم الله عصيانهما ، ومخالفة أمرهما ، وجعل رضاهما من رضاه ، وسخطهما من سخطه ، بل جعل عقوقهما قرين الإشراك به .

ولكن يجب أن يكون معلوماً ، أن حق الله مقدم على حق الوالدين ، فإن تعارض حق الله وحق الوالدين ، فحق الله أولى بالتقديم والوفاء ، ولا يجوز للابن أن يغضب الله ، أو يفرط في حقه ، أو يرتكب معصية طاعة لوالديه ، فقد

---

(١) متفق عليه .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١) . وقال في حديث آخر : «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٢) .

إن رابطة الإيمان أقوى من كل رابطة ، أقوى من رابطة الدم والنسب والجنس والوطن واللغة وكل الروابط التي تعارف عليها الناس .

ومن أجل هذا الايمان ترك المسلمون ديارهم وأموالهم وأوطانهم وهى مهد صباهم ، ومغنى شبابهم.تركوا أوطانهم وهم أشد مايكونون حبا لها ، وتعلقاً بها،ومن أجل هذا الايمان حارب الابن أباه، والأب ولده ، والأخ أخاه .

---

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

ففي غزوة بدر - وهي أول معركة فاصلة بين الايمان والكفر، وبين الحق والباطل - التقى الآباء بالأبناء، والاخوة بالإخوة، وأشرق الايمان في النفوس فارتفع على كل العلاقات الأرضية وكان المسلم يشعر أن بينه وبين أخيه المسلم من الرابطة ماليس بينه وبين أهله وعشيرته الذين فارقوه وعادوه من أجل الإيمان بالله.

وفي هذه الغزوة وقع أبو عزير بن عمير شقيق مصعب بن عمير أسيراً في يد أحد المسلمين فمر به أخوه مصعب، فقال لآسره: اشدد يديك عليه، فإن أمه ذات مال، لعلها تفديه منك فقال له أخوه: أهذه وصاتك بي يا أخي؟ فقال له: انه أخي اليوم دونك.

أجل إن رابطة الايمان أقوى من رابطة الدم والنسب.

وصدق الله العظيم: «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء، إن استحبوا الكفر

على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »(١) .

وقال سبحانه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »(٢) .

---

(١) التوبة : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) المجادلة : : الآية ٢٢ .

قـــدرة الله وعلمه

أول وصية وصى بها لقمان ولده ـ أن يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً « يابنى لاتشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم» . ثم أراد أن يبين له أن هذا الإله العظيم قادر لا يعجزه شيء ، عالم لا يغيب عن علمه شيء مهما كان دقيقاً ، ومهما غاب في هذا الملك الواسع ، عادل لا يظلم عنده أحد ، ولا يضيع عنده عمل عامل ، فقال : « يابنى ، إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة ، أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير» . أي أن عمل الإنسان خيراً أو شراً ، حسناً أو قبيحاً ، مسجل عليه عند علام الغيوب ، وعلم الله يحيط به ، ولو كان في باطن الصخر ،

أو أغوار الأرض ، ويحاسبه عليه ، ولو كان مثقال الذرة . « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وذلك هو مقتضى العدالة الإلهية التي تجازى الذين أساءوا بما عملوا ، والذين أحسنوا بالحسنى ، وصدق الله العظيم : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (١) .

وفي الحديث : أن أعرابياً جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : علمني مما علمك الله ، فدفعه إلى عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فعلمه سورة الزلزلة ، فلما وصل إلى قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » قال الأعرابي لابن مسعود :

---

(١) الأنبياء : الآية ٤٧ .

حسبك . حسبك ، وانطلق إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يارسول الله ، أيحاسب ربنا على مثقال الذرة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وأقل من ذلك يا أعرابى . فانطلق الرجل وهو يقول : حسبى . حسبى . فقال النبي : صلى الله عليه وسلم – : « لقد فقه الرجل »(١) .

رب صغير في نظر العبد ، وهو عند الله كبير ، فان كان من الصالحات فالله يضاعفه لصاحبه الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . إلى ما شاء الله ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم .

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوصي أصحابه أن يتصدقوا ، ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة(٢) ، وألا يستصغروا عملا من الأعمال الصالحة .

---

(١) القصة رواها عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو حاتم عن زيد بن أسلم رضى الله عنه .

(٢) متفق عليه .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعائشة : «يا عائشة ، استتري من النار ، ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان »(١) .

وفي الصحيح أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط»(٢) .

وقد وصى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ النسوة ، فقال : « يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فرسن شاة »(٣) . وذلك لأنها رسول المودة وبريد المحبة .

وقد كان الواحد من صحـــابة رسول الله

---

(١) رواه احمد باسناد حسن .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتصدق بالتمرة ويقول : كم فيها من مثقال الذرة .

إن كل شيء محفوظ عند الله ـ سبحانه ـ لا يغيب عنه شيء ، ولا يشغله شيء عن شيء . وكما أن مثقال الذرة من الخيرات والأعمال الصالحة يقود صاحبه إلى رضوان الله ـ عز وجل ـ فكذلك مثقال الذرة من الذنوب والآثام ، إذا اجتمعت على العبد ، وتراكمت عليه ، كانت سبباً في هلاكه وخسرانه .

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محذراً ومنذراً : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه »(١) .

وهكذا لا ينبغي أن يستهين العبد بصغائر الذنوب ، فان الصغير إلى الصغير كبير ، والقليل

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني ، كلهم من رواية عمران القطان وبقية رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح .

إلى القليل كثير ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .
وفي الحديث :

« إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله . لا يلقي لها بالا ، يرفعه الله بها درجات . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم »(١) .

فلينتبه الغافلون من غفلاتهم ، وليستيقظ النوام من سباتهم ، قبل أن يأتي يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، يوم تنصب الموازين ، وتعرض الأعمال التي أحصاها الله ، ونسيها الناس ، ويبحث المرء عن مثقال الذرة من الحسنات ، لتشفع له في هذا اليوم العصيب . « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »(٢) .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) الشعراء : الآيتان ٨٨ ، ٨٩

الصلاة عماد الدين

يقول الله ـ تعالى ـ في وصية لقمان لابنه :
« يا بنى ، أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور » .

دعا لقمان الحكيم ولده إلى توثيق الصلة بينه وبين ربه ، فيزكي نفسه ، ويطهر قلبه بإقامة الصلاة أولا . فما سميت الصلاة صلاة إلا لأنها صلة بين العبد وربه ، بها يكون العبد موصول القلب بالله رب العالمين . فيقف بين يديه في اليوم خمس مرات على الأقل ، يناجى ربه ويدعوه ، ويتضرع إليه ، ويعرج بقلبه وروحه إلى الملأ الأعلى، فيعود أصفى قلباً ، وأطيب نفساً ، وأقدر على

مواصلة أعباء الحياة . فهكذا كانت صلاة المؤمنين الأولين ، إذا ضاقت بالإنسان مسالك الحياة ، فزع إلى ربه يناجيه ، ويسأله العون على لأواء الحياة وبأسائها .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا حزبه أمر ، فزع إلى الصلاة ، وكان يقول لبلال : «أرحنا بها يا بلال»(١) .

أجل ، إنها كذلك للمؤمنين الصادقين الخاشعين ، يرون فيها واحة يستظلون بها في صحراء الحياة الموحشة ، وزاداً يتزودون به ليوم لازاد فيه إلا العمل الصالح ، فيهرعون إليها ، وينشطون لأدائهـــا .

أما المنافقون فهي ثقيلة عليهم ثقل الجبال ، إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا .

---

(١) رواه أبو داود .

والصلاة الخاشعة طهارة للقلب من الغفلات ، وغفران للذنوب والخطايا ، ورفع للدرجات عند الله ، فقد جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ . قالوا : بلى يارسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط»(١) .

وقد جعلها النبي – صلى الله عليه وسلم – حماماً يومياً يغتسل فيه المؤمن من الذنوب والآثام . يقول – صلى الله عليه وسلم – «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات ، هل يبقى ذلك شيئاً من درنه ؟ . قالوا : لا . قال :

---

(١) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا »(١) .

إن الصلاة ركن عظيم في هذا الدين ، بها يعرف المسلم من غير المسلم ، لا يتهاون فيها مؤمن صادق الإيمان ، إذ هي الفرق بين المؤمن وغيره ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – « فرق ما بين المؤمن والكافر ترك الصلاة » .

وقال – صلى الله عليه وسلم – «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »(٢) .

وقال – عليه السلام – : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد ، فاشهدوا له بالإيمان» . ثم قرأ : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه احمد والترمذي والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[1] .

بالصلاة يصلح المرء نفسه ، ويوثق ما بينه وبين ربه ، ويؤدى أعظم شعيرة من شعائر هذا الدين.

إن كل دين له شعائره الدالة عليه ، والتى تنبىء عن تمسك أبنائه به ، وحرصهم عليه ، وأجل هذه الشعائر الصلاة .

من أجل ذلك ، وصى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نعلمها أبناءنا من الصغر ، وأن نعودهم عليها ، وأن نغرس حبها في قلوبهم ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «علموا أبناءكم الصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر »[2] .

وحرص لقمان قبل ذلك على أن تكون الصلاة

---

(١) التوبة : الآية ١٨ .
والحديث رواه الترمذى وابن ماجه والدارمى .
(٢) رواه احمد وأبو داود .

وصيته الأولى لابنه بعد الإيمان بالله ، فقال :
« يابنى أقم الصلاة » .

ذلك لأنه بالصلاة يستعين على تكاليف المعركة الطويلة المريرة بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، وبين الإسلام والجاهلية .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وصى لقمان الحكيم ولده بإصلاح نفسه وتزكيتها ، وتوثيق الصلة بينه وبين الله بالعبادة الصحيحة ، وأولها الصلاة ، فقال : « يابني ، أقم الصلاة » .

ثم ذكره بواجبه نحو مجتمعه الذى يعيش فيه ، وأنه كما يجب عليه أن يصلح نفسه ، يجب عليه أن يعمل لخير مجتمعه ، وأن يسعى لتثبيت دعائم الحق والخير في أمته ، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .

لذلك طلب منه أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فيكون بذلك عضواً عاملا في المجتمع ، وإنساناً إيجابياً يترك أثراً صالحاً في كل مكان يحل

فيه ، قال له : «يا بنى ، أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور» .

أجل ، إن سر قوة الأمة ووحدتها ، وعنوان يقظتها ووعيها ، ودليل حيويتها ونضجها ، هو الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فهو يثبت في الأمة معاني الخير والرشد والصلاح ، ويحرس فضائلها وآدابها ، ويحمى أخلاقها وحقوقها ، وينشىء فيها الرأى العام المستنير الذى يعرف ماله وما عليه ، ويهيىء الجو الصالح والبيئة النظيفة التي تنمو فيها الأخلاق الكريمة والفضائل العالية .

كما أنه يطهر المجتمع من عوامل الشر والفساد ، ويقطع الطريق على ضعاف النفوس ومرضى القلوب وعبيد الشهوات أن ينفثوا سمومهم ، وينشروا غيهم وضلالهم ، فالآمرون بالمعروف . الناهون عن المنكر ، يقفون لهم بالمرصاد .

ومن هنا أوجب الإسلام على كل مسلم إنكار المنكر بدرجات متفاوتة ، لا يعفى منه مسلم بحال .

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »(١) .

إن أدنى درجات الإنكار أن ينكر المسلم بقلبه ، وأن يتميز من الألم والغيظ إن عجز عن التغيير باليد أو اللسان ، وإنكاره بقلبه معناه : أن يمقت المنكر ، ويبغض أهله ، وأن يقاطعهم فلا يجالسهم ، ولا يؤاكلهم ولا يشاربهم ، ولسان حاله يقول : اللهم إن هذا منكر لا يرضيك .

وقد جاء في الحديث :« يأتي على الناس زمان ، يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء .

(١) رواه أحمد في مسنده ومسلم وأصحاب السنن عن أبي سعيد من حديث طارق بن شهاب .

قالوا : بم يارسول الله ؟. قال : «بما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره» .

إن أكمل الناس نفساً ، وأرفعهم قدراً عند الله تعالى ـ أولئك الذين نصبوا أنفسهم دعاة إلى الله ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، يتعرضون في سبيل ذلك للبلايا والمحن ، وصدق الله العظيم : «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين»(١) .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»(٢) .

وعلى رأس هؤلاء الأنبياء والمرسلون ، ثم من سار على دربهم من الهداة والمصلحين في كل عصر. أولئك هم الفائزون المفلحون . « ولتكن منكم

---

(١) فصلت : الآية ٣٣ .

(٢) آل عمران : الآية ١٤٢ .

أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »[1] .

وإنما فضل الله هذه الأمة ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، لأنها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

ويوم كان المسلمون يقومون بأداء هذه الفريضة ، كانت حدود الله قائمة ، وشرع الله منفذاً ، وتعاليمه مصونة ، فلم يجرؤ أحد على استباحة حرمات الله ، أو انتهاك حدوده ، ومن كانت تسول له نفسه شيئاً من ذلك ، كان يجد من حراس الحق ، وحماة الشريعة من يبصره بالحق ، ويدله على الرشد ، ويعيده إلى الصراط المستقيم .

وقد ظن بعض السلبيين ، ومن قعدت بهم الهمم الكليلة عن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف،

---

(١) آل عمران : الآية ١٠٤ .

والنهى عن المنكر . ظن هؤلاء أن في قــول الله تعــالى : « يأيهــا الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » مبرراً للتخلف والقعود ، وقالوا مالنا ولغيرنا ، علينا أنفسنا ، ولو ضل الناس ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم .

وإلى هؤلاء وأمثالهم نسوق ماروي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – في خطبة له : قال: «أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية ، وتؤولونها على خلاف تأويلها : يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، وإنى سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده »(١) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم بعذاب من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم»[1] .

إن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر واجب كل مسلم غيور ، يرجو السلامة والأمن والعافية لنفسه ودينه وأمته ، وإن السكوت على المنكر وتركه يستشري بين الناس وهن في الدين ، وضعف في الإيمان ، ومشاركة في المصير المروع الذي ينتظره وينتظر أمته من جراء هذه السلبية القاتلة ، وإن مثله مثل من يرى النار تلتهم عليه داره ، وهو واقف يتفرج في انتظار النهاية المحتومة .

وقد ضرب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

مثلا لذلك فقال : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركهم الذين في الأعلى ، وما أرادوا هلكو جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »(١) .

إن الإسلام يريد أن ينشىء المجتمع المسلم الذى لا يسمح للشر والفساد أن يستشرى فيه، ولا يسمح لأفراده أن يتجرأوا على اقتراف المعاصي ، وارتكاب المنكرات ، فتضعف عندهم الحاسة الدينية ، أو تموت .

---

(١) رواه البخارى . وحدود الله : محارم الله ، والقائم عليها : هو المنكر لها الذى يعمل على دفعها وازالتها ، والواقع فيها : المرتكب لها ، استهموا : اقترعوا .

إنه يريد المجتمع المسلم الذى يغار على حرمات الله . الذي يخشى من المعصية كما يخشى من المرض ، ويخاف من الفاحشة أن تشيع في الذين آمنوا كما يخشى من النار أن تندلع بين أركانه .

ومن ثم يطالب الأمة كلها أن تقدر مسئوليتها ، وتقف في وجه الشر والفساد والطغيان ، وأن تنكر على الظالمين لا تخشى في الله لومة لائم .

ومن هنا ندرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الدعاة إلى الله ، إذا تهاونوا في أداء هذه الأمانة ، وسايروا أهل المعاصى ، وتغاضوا عن سيئاتهم .

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل (وهو على المعصية) فيقول : ياهـذا . اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم

يلقاه من الغد ، وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم . ثم قال(١) : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم » إلى قوله « فاسقون » ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو لتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم»(٢) .

وإن أفضل صور الجهاد قولة الحق أمام حاكم ظالم ، حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية

(١) المائدة الآية ٧٧ - ٨١

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .

بنفسه في سبيل الله ، فكما أن الناس في حاجة إلى الماء والغذاء والهواء ، فهم في حاجة أيضاً إلى تلك الصور الجريئة من التضحية والجهاد ، وإلى القدوة العملية يقتدون بها .

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – « سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله »(١) .

إن مهمة الدعاة إلى الله شاقة وعسيرة إذا أدوا حقها ، ومن ثم كان على الداعية أن يتزود بالصبر. كما قال لقمان لابنه : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية .
الصبر على مجالدة الباطل وكيد المبطلين .
الصبر على بطء النصر ، وعلى قلة الناصر .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن جابر .

الصبر على طول الطريق ووعورته .

الصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب، وظلام الأفئدة .

لابد من الصبر على ذلك كله،وأن يوطن الداعية إلى الله نفسه على الصبر ، وأن يعلم أنه مادام قد نصب نفسه للدعوة إلى الله ، وللأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فسوف يلقى ضروباً من العنت أقلها الإعراض عنه . فإن المعركة مع الباطل واقعة لا محالة ، وهي معركة طويلة ، والصراع فيها مرير ، ولابد له من عزائم المؤمنين وصبر المتقين .

التواضع من أخلاق المؤمنين

قال الله – عز وجل – في وصية لقمان لابنه : «ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور» .

كيف يكون سلوك المسلم السوى مع الناس ؟.

لقد رسم القرآن الكريم للمسلم على لسان لقمان لابنه أن أولى صفات الإنسان الكريم السوى مع الناس هي التواضع وعدم الكبر والترفع على عباد الله . فقال : «ولا تصعر خدك للناس» ، أي لاتمل بوجهك عنهم إن كلمتهم أو كلموك ، ازدراء لهم ، وتكبراً عليهم ، واحتقاراً لشأنهم . وهـذا هو معنى : تصعـير الخد ، أن يلوى عنقه، كما تلوي الإبل أعناقهاحين تصاب بهذا الداء.

إن مما يكمل العقيدة السليمة ، ويحييها في قلب صاحبها ، أن يتحلى بالخلق الكريم ، وخاصة إذا كان داعية إلى الله ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

لذلك نهى لقمان الحكيم ولده عن الكبر والخيلاء ، لأن ذلك ضعف في النفس ، ووهن في الدين ، وشعور بالنقص ، يدفع إلى ظلم الناس واحتقارهم . .

نهى عن الكبر وعن كل ما ينم عليه . فالنظرة الشزراء ، ولفتة الاستعلاء ، والجلسة المترفعة ، والتشدق بالكلمات يخرجها من جانب فمه بتكلف وتعمل وتعسف . كل ذلك من الكبر الذي نهى عنه الإسلام ، والذى يتنافى مع حسن الخلق ، وصاحبه بغيض إلى الله وإلى رسوله وإلى الناس .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن

من أحبكم إليَ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا : يارسول الله ، علمنا من هم الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ . قال : المتكبرون (١) .

الثرثار : هو الذي يكثر الكلام تكلفاً ، ليلفت الأنظار إليه .

والمتشدق : هو الذي يتطاول على الناس بكلامه ، ويتفاصح عليهم ، فينطق الكلمة بملء فيه ، تعظيماً لكلامه .

والمتفيهق : هو الذي يأتي بغريب الكلام ، ويتوسع فيه تكبراً وتعالياً ، وإظهاراً لفضله .

هؤلاء الثرثارون المتشدقون المتفيهقون مقتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم يتكلفون تكلفاً يصمهم بالكبر والبطر والرياء .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » . ذلك أن المتكبر إذا ملأ قلبه الغرور ، فرغ من خشية الله ـ عز وجل ـ ونسى نعم الله عليه ، ولم يتورع عن ظلم عباد الله ، ولو تذكر أن ماهو فيه من قوة وجاه ونعمة مستمد من الله ، وأنه بدون توفيق الله له لم يكن شيئاً مذكوراً ، لطامن من كبريائه ، وخفف من خيلائه ، ولتواضع لله ـ عز وجل ـ واهب النعم ، ولكبر في أعين الناس.

وفي الحديث : « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ، ومن ارتفع عليه وضعه الله »(١)

وفي حديث آخر: « مانقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه»(٢)

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) رواه مسلم والترمذي .

ولا يظنن المتكبر الذي يتعالى على الناس ، وينظر إليهم نظرة الاحتقار والازدراء إلا أن الناس يبادلونه مثلها ، ويحتقرونه من أعماق قلوبهم ، فمثله معهم مثل من يقف على قمة جبل ، يرى الناس صغاراً ، وهم يرونه كذلك .

إن الكبر آفة خطيرة ، وداء وبيل ، إذا تملك إنساناً أفسد عليه حياته ، وأفسد عليه نفسه وقلبه .

لذلك جاءت السنة النبوية بالتحذير منه ، وبيان خطره وعاقبته ، وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن مصارع الجبارين في أحاديث شتى.

قال – صلى الله عليه وسلم – : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر »(١) .

والعتل : هو الغليظ الجافي .

---

(١) متفق عليه .

والجواظ : هو الجموع المنوع ، أو الذى يختال في مشيته .

وقال- صلى الله عليه وسلم : «بينما رجل يتبختر في بردين ، وقد أعجبته نفسه ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة »(١) .

إن الكبر والغرور يدفعان المرء إلى جحود نعمة الله وفضله ، كما فعل قارون الذي تركه الله مثلا في الآخرين ، حينما نصحه قومه الا يبطر ، وأن يؤدى حق الله فيما أعطاه الله ، فقال بتكبر واستعلاء : «إنما أوتيته على علم عندى» ، فكانت عاقبته كما قال الله : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » .

وليس من الكبر أن يكون المرء نظيف الثوب

---

(١) متفق عليه .

حسن الهيئة ، فقد جاء في الحديث : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال رجل : يارسول الله ، إن الرجل منا يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة . فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس »[1] .

هذا هو الكبر المذموم الذى نهينا عنه ، والذى نسأل الله – سبحانه – أن يبرئنا منه ، وأن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ، ويرزقنا اجتنابه .

---

(١) رواه مسلم وبطر الحق : دفعه ورده . وغمط الناس : احتقارهم . وازدراؤهم .

حسن الخلق

المجتمع المسلم هو مجتمع الأخلاق العالية ، والفضائل الكريمة ، وضع له محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمتن الأسس ، وأرفع المثل ، وأكرم الفضائل ، فقامت العلاقات بين أفراده على أساس الأخوة والمحبة ، والتعاون والمودة ، والتواضع وخفض الجناح ، والاستقامة على الحق الذى جاءهم به الاسلام .

من أجل ذلك نهى الإسلام عن الكبر والغرور والاستعلاء ، ودعا المؤمنين إلى التواضع وخفض الجناح ، ليناًى بهم عن حياة الكذب والغرور.

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن

الله أوحى إلى أن تواضعوا ، حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد» (١) .

وقال عليه السلام – «إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة»(٢) .

إن حسن الخلق من الايمـــان ، والتواضع وخفض الجناح من أخلاق المؤمنين التى غرسها الإيمان في قلوبهم .

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى في حسن الخلق .

سئلت عائشة – رضى الله عنها – عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأجابت بتلك

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى فى الزهد وقال الحاكم : صحيح ولا علة له .

الكلمة الفذة الجامعة : «كان خلقه القرآن »[1] .

وقالت : « ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك ، وما خير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ـ مالم يكن إثماً ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه في شيء قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم »[2] .

هذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى والقدوة الحسنة والصورة الحية الماثلة التي يجب أن يقتدى بها المؤمنون في كل شيء ، لم يكن يغضب أو يثور إذا كان الأمر يتعلق

---

(١) رواه احمد مسنده ومسلم وأبو داود .
(٢) متفق عليه .

بشخصه ، ولكنه كان أشد مايكون ثورة وغضباً إذا انتهكت حرمات الله .

وكان – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى في معاملة خدمه ومواليه .

قال أنس : « خدمت النبي – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين ، فما قال لى أف قط ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء تركته لم تركته »(١) .

ومن تواضعه – صلى الله عليه وسلم – وكريم خلقه أنه كان يكره أن يتمثل له الناس قياماً ، ويقول : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار »(٢) .

وكان يقول لأصحابه : لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً ، إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه احمد فى مسنده وأبو داود والترمذى .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعود المساكين ، ويجلس إلى الفقراء ، ويختلط بأصحابه ، ويجلس بينهم غير متميز عليهم .

قال أنس : ما التقم أحد أذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيرسلها ، حتى يرسلها الآخر .

وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة .

هذه شذرات من خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتواضعه ، فهل هناك خلق أكرم من خلق رسول الله؟. ولا عجب أن يمدحه الحق ـ تبارك وتعالى ـ فيقول له : « وإنك لعلى خلق

عظيم » ويقول : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

وقد اقتدى بهذا الخلق الكريم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن تبعهم بإحسان ، فكانوا مثلا حية ناطقة لهذا الدين فتحلوا بالخلق الكريم ، والتواضع الجميل ، والأدب الجم .

حتى رأينا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يأتي يوماً حاملا قربة ماء على رأسه ، فيسأله ابنه مستنكراً : ما الذى حملك على ذلك ؟ فيقول له : أعجبتني نفسي فأحببت أن أذلها .

وكان – رضي الله عنه – يهنأ إبل الصدقة بيده ، لا يرى في ذلك بأساً ولا عيباً .

وهذا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – كان جالساً يوماً مع أصحابه ، فانطفأ السراج

فقام فأصلحه ثم عاد . فقالوا : كنا نكفيك يا أمير المؤمنين. فقال لهم : وما ضرنى ، قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

بهذه الأخلاق الكريمة ، وبهذا التواضع الجميل تحلى سلفنا الصالح فأحبهم الله وأحبهم الناس .

أدب المشي والحديث

يقول الله ـ عز وجل ـ في وصية لقمان لابنه :

« واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » .

نهى الله ـ سبحانه ـ عن مشية التكبر والعجب والخيلاء في الآية السابقة فقال : « ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور » .

ثم أرشد المؤمنين إلى المشية المعتدلة القاصدة الجادة فقال تعالى :

« واقصد في مشيك» أى امش في قصد واعتدال ، وبسكينة ووقار ، فلا تمش بالسرعة المفرطة التي تنبىء عن الانزعاج والاضطراب ، وتمشي

بالرعونة وخفة العقل ، لا سيما إذا صاحبها كثرة الالتفات إلى الوراء ، أو عن يمين وشمال ، فهذه مشية مذمومة .

وكذلك لا تمش مشية المتماوت المتكلف الذى يطأطىء رأسه ، ويخفض صوته ، يظن ذلك علامة التقوى والورع ، فهذه مشية مذمومة ، لا يحبها الله . أما المشية التى يريدها الإسلام فهى المشية الوسط التى لا إسراع فيها ولا إبطاء ، ولا إفراط فيها ولا تفريط .

المشية التي يمضى صاحبها إلى قصده جاداً معتدلا ساكناً وقوراً .

ليكن مشيك هوناً ، فهذه صفة عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، أى مشيةسهلة هينة، لا تكلف فيها ولا تصنع ، ولا تصعـــير خد ، ولا مرح ولا خيلاء ولا تكبر ، فإن الله لا يحب كل مختال فخور .

إن المشية الجادة المعتدلة تعبر عن النفس السوية المطمئنة .

وقد رأت السيدة عائشة – رضى الله عنها – رجلا يتماوت في مشيته ، لايكاد يسمع له صوت ، فسألت عنه فقيل لها : إنه زاهد متنسك . فقالت : كان عمر بن الخطاب زاهداً ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

ورأى عمر – رضى الله عنه – رجلا كهذا ، فعلاه بالدرة ، وقال له : ارفع رأسك ، لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله .

وكانت هذه المشية الجادة المعتدلة هى مشية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

قال أبو هريرة – رضى الله عنه – «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ، كأن الشمس تجرى في وجهه ، وما رأيت أحداً قط أسرع في مشيته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كأن الأرض تطوى له » .

وهذه المشية مع سرعتها هي أحسن المشيات ، وأسكنها وأعدلها وأروحها للأعضاء ، وأبعدها عن مشية الهرج والمهانة والتماوت ، وهي مشية أولى العزم والهمة والشجاعة .

وفي قول الله – تعالى – : « واقصدفي مشيك ...» توجيه إلهي كريم لسائقي السيارات الذين ينهبون الأرض نهباً ، ويكادون من سرعتهم يطيرون بها في الهواء ، ناسين أن الطريق ليس لهم وحدهم ، بل يشاركهم فيه غيرهم من المشاة المسالمين قائدي السيارات المعتدلين ، ولهم من الحق مثل ما لهم. إن السرعة الجنونية المفرطة في قيادة السيارات تعرض أرواح الأبرياء الآمنين للخطر ، وتهدد حياتهم بالفناء أو العطب ، وذلك بسبب الأنانية التى تسيطر على نفوس بعض السائقين الذين لا يقيمون لغيرهم وزنا .

فكم من إنسان كان ملء السمع والبصر ، ومهوى أفئدة أبنائه وإخوانه وأحبائه، يجيش صدره بالآمال العذاب ، والأمانى العراض ، إذا هو في غمضة عين ممزق الفؤاد ، محطم الآمال ، مهيض الجناح ، لأنه أصبح كسيراً أو كسيحاً أو عاجزاً من أجل نزوة طائشة لسائق مجنون .

وكم من أسرة كان عائلها هو أملها المشرق الباسم، تنتظر عودته بلهفة وشوق، وتغمرها السعادة بلقياه ، إذا هي بين عشية وضحاها قد فقدت عائلها تحت عجلات سيارة مسرعة فتبيت صرعى الهموم والأحزان، وتصبح وتمسي في نكد العيش ، وسوء الحال .

ويا ليت الناس يعتبرون ويتعظون ، وهم يرون بأعينهم كل يوم ، بل كل ساعة ، تلك الحوادث الأليمة التي تدمي القلوب ، وتفتت الأكباد ، وتبكي العيون .

ثم نهاه عن رفع الصوت في غير موجب ولا ضرورة ، وأمره أن يخفض منه ، وألا يرفعه إلا بالقدر الذي يسمع السامعين ، فقال : «واغضض من صوتك» أي أخفض منه ولا ترفعه في غير فائدة، فإن الغض من الصوت فيه أدب ،وفيه ثقة بالنفس.

ولذا نفر القرآن من رفع الصوت ، وشبهه بأقبح الأصوات ، فقال تعالى : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » وليس هناك من يحب أن يكون صوته كصوته .

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلم أمته إذا سمعوا نهيق الحمار أن يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم . وماذاك إلا لقبحه واستنكاره .

هذه هي وصايا لقمان الحكيم لولده ، ذكرها الله في كتابه ، لتكون نموذجاً كريماً يقتدى به كل أب في تربية أبنائه وتعليمهم وتوجيههم .

وهي نموذج رفيع للإنسان السوي في عقيدته ، وعبادته وأخلاقه وسلوكه .

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يرزقنا الإيمان الصحيح ، والعمل السليم ، والقول السديد ، والخلق القويم .

إنه سميع مجيب الدعاء .

الفهـــرس

مقدمة ٣
تمهيد ٥
الايمان بالله ٧
بر الوالدين ٢٣
عقوق الوالدين ٣٨
قدرة الله وعلمه ٤٧
الصلاة عماد الدين ٥٣
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٥٩
التواضع من أخلاق المؤمنين ٧١
حسن الخلق ٧٨
آداب المشى والحديث ٨٥

طبع
بمؤسسة دار العلوم
الدوحة - قطر